استدراكات الإمام محمد عبده (ت١٣٢٣هـ) في (تفسير المنار) على الإمام السيوطي (ت٩١١هـ) في (تفسير الجلالين) (سورة النساء أنموذجا)

محمد علي مبارك رضوان (*)

المقدمة

الحمد لله العزيز الوهاب، مالك الملوك ورب الأرباب، الذي أنزل على عبده الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب، وأودعه العلوم النافعة، والبراهين القاطعة، وجعله في الطبقة العليا من البيان حتى أعجز الإنس والجان أن يأتوا بسورة من مثله، وصلاة الله وسلامه على من دلنا على الله وبلغنا رسالته، وجاءنا بالقرآن العظيم، وجاهد في الله حق الجهاد، وبذل جهده في الحرص على نجاة العباد، ورضي الله عن أصحابه أجمعين، الذين اختارهم الله لصحبة نبيه، فكانوا خير من وطأ الثرى بعد الأنبياء، حملوا القرآن إلينا غضاً طريا كما أُنزِل، وقدَّموا أرواحهم في سبيل نشره، فبلغوا به ما أراد الله لهذه الأمة أن تبلُغ، فجزاهم الله عن أمة الإسلام خير الجزاء، وجمعنا بهم في دار كرامته.

أما بعد: فإن أشرف العلوم والمعارف وأعلاها قدراً علم كتاب الله – تعالى-، فكل علوم الإسلام تدور حوله وهي مستاقة من معينه غير أن علم التفسير هو أقواها علاقة به؛ إذ به يعرف المقصود من كلام الله – تعالى-، وكل ما كان متصلاً بالتفسير ومتعلقاً به كان له من القدر والمنزلة بقدر تعلقه به.

ولما كان الأمر كذلك؛ انْبرى علماء الإسلام في شتى الأقطار لدراسة كلام رب العالمين، فأفنوا أعمارهم، ونذروا حياتهم لخدمة الكتاب المبين حتى استخرجوا دُرره، واقتنصوا شوارده، ونهلوا من معينه، وارتشفوا من سلسبيله العزب.

وكان من بين هؤلاء المشاعل المضيئة والكواكب النّوارة الإمام محمد عبده (ت١٣٢٣هـ)، الذي كانت دروسه في التفسير في الجامع الأزهر هي نواة تفسير (القرآن الحكيم) المشهور بتفسير المنار للإمام محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ)، ونواة هذا التفسير عبارة عن دروس ألقاها الإمام محمد عبده في الجامع الأزهر، وقام تلميذه الإمام محمد رشيد رضا بتسجيلها ونشرها في مجلة المنار بأسلوبه مع إضافاته وتعليقاته، وقد شرع الإمام محمد عبده في التفسير من سورة الفاتحة إلى أن وصل إلى الآية (١٢٦) من سورة النساء فأدركته المنية، ثم واصل التفسير بعد موته تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا حتى وافاه الأجل هو الآخر قبل آن يتم سورة

(*) هذا البحث مستل من رسالة الماجستير الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: [استدراكات الإمام محمد عبده (١٣٢٣هـ) على الإمام السيوطي (٩١١هـ) في تفسير المنار (جمعاً ودراسة)]، تحت إشراف أ.د. وجيه محمود أحمد – كلية الآداب – جامعة المنيا & د. خالد فؤاد محمد بليل – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

يوسف لذلك نسب إليه هذا التفسير، وكان من بين هذه التفاسير التي استقى منها الإمام محمد عبده وأفاد، واعتمد وأشاد، وانتقد وأجاد؛ تفسير الجلالين للإمامين الجليلين الإمام جلال الدين المحلي (ت٨٦٤هـ)، والإمام جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) فقد ذكر الشيخ محمد رشيد رضا في مقدمة تفسيره أن شيخه الإمام محمد عبده كان في درسه للتفسير يقرأ من تفسير الجلالين فكان يقرأ عبارته فيقرها أو ينتقد منها ما يراه منتقداً، ونظراً لأن الشيخ محمد عبده لم يفسر من القرآن الكريم في تفسير المنار إلا الخمسة الأجزاء الأولى فإن استدراكاته كانت على الإمام جلال الدين السيوطي؛ وذلك لأن تفسير الجلالين هو عبارة عن تفسير قام بتأليفه الإمامان الجليلان، الإمام جلال الدين المحلي، والإمام جلال الدين السيوطي، وقد بدأ الإمام جلال الدين المحلي تفسيره من أول سورة الكهف الى سورة الناس، ثم بدأ سورة الفاتحة فأدركته المنية بعد الانتهاء منها، فأكمل بعده تلميذه الإمام جلال الدين السيوطي من أول سورة البقرة إلى سورة الإسراء، فمن هنا عظمت الرغبة في البحث عن دراسة استدراكات الإمام محمد عبده على الإمام السيوطي في تفسير المنار من خلال سورة النساء ليكون ذلك العمل مني إسهاماً في خدمة كتاب الله تبارك وتعالى، وقد جعلت عنوانه (استدراكات الإمام محمد عبده (ت١٣٢٣هـ) في تفسير المنار على الإمام السيوطي (ت٩١١هـ) في تفسير الجلالين "سورة النساء أنموذجا").

وأسأل الله العون، وأستمد منه التوفيق، وأسأله حسن القصد فهو المولى المعين، وحسبي ونعم الوكيل، وأصلي وأسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

- **أهمية الموضوع وأسباب اختياره:**

١- حرص الباحث على خدمة كتاب الله - عز وجل -.

٢- لم أجد فيما أعلم أحداً كتب في هذا الموضوع رغم أهميته.

٣- أن تفسير الجلالين هو الكتاب الذي كان يقرأ منه الإمام محمد عبده في درسه للتفسير، فكان يقرأ عبارته فيقرها أو ينتقد منها ما يراه منتقداً.

٤- أن المستدِرك والمستدَرك عليه من أئمة هذا العلم ومن أوعيته الجامعة.

٥- هذه الدراسة - إن شاء الله- ذات أهمية وذات نتائج حميدة ومفيدة للكاتب ولمكتبة التفسير؛ لأنها في الحقيقة دراسة تفسيرية مقارنة، لا تكتفي بذكر أحد الاحتمالات، ولا بتقديم أحد الأقوال من غير دليل، بل لا بد فيها من جمع الأقوال في المسألة، وتمحيصها وبيان الراجح بالدليل.

إن وقوع الباحث بين الأئمة المجتهدين، يوقعه في حرج كبير، فلا مناص حين ذاك من تحقيق المسائل وتخريج الأحاديث وجمع الأقوال وحشدها ولا مجال للتحامل وتخطئة أحدهم؛ لأنهم علماء مجتهدون، وكلٌ له دليله وقوله الذي نقدره، ولا معصوم فعن عمرو بن العاص- رضى الله عنه - أنه سمع رسول الله - صلى الله

عليه وسلم- يقول: "إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ"(١).

- **الدراسات السابقة:**

أولاً: الدراسات السابقة على تفسير المنار:

بعد البحث والاطلاع لم أجد أحدا من الباحثين – في حدود علمي– تناول استدراكات الإمام محمد عبده على الإمام السيوطي في تفسير المنار، وإنما تمثلت الدراسات السابقة فيما يلى:

١- (استدراكات صاحب المنار على الزمخشري من أول سورة البقرة إلي آخر سورة النساء) رسالة ماجستير بجامعة أم درمان الإسلامية للباحثة/ إيمان عبدالنور حازم الشميري.

٢- (استدراكات صاحب المنار على الزمخشري في الكشاف من بداية سورة المائدة إلي نهاية سورة يوسف) رسالة ماجستير بجامعة أم درمان الإسلامية للباحث/ محمد حامد عبدالرحمن.

٣- (استدراكات صاحب المنار على الزمخشري من أول سورة المائدة إلي الآية(٣٧) من سورة يوسف دراسة تحليلية) رسالة دكتوراه بجامعة أم درمان الإسلامية للباحثة/تهاني أبو زيد محمد أحمد.

ثانيا: الدراسات السابقة على تفسير الجلالين:

١- (تعقبات الشيخ ابن عثيمين على تفسير الجلالين جمعا ودراسة من أول سورة لقمان إلي نهاية سورة يس)، رسالة ماجستير بجامعة القصيم للباحث/ علي ابن إبراهيم السحيمان.

٢- (تعقبات الشيخ ابن عثيمين على تفسير الجلالين جمعاً ودراسة من أول سورة الصافات إلي آخر سورة الزمر)، رسالة ماجستير جامعة القصيم للباحث / عطاالله بن مكمي بن مناحي الرويل.

- **إشكالية البحث:**

تتمحور إشكالية البحث في التساؤلات الآتية:

أولاً: أن الإمام محمد عبده كان عمدته أثناء درسه في التفسير تفسير الإمام جلال الدين السيوطي (تفسير الجلالين) فهل كان مقراً له أم غير مقرٍ له؟

ثانياً: وهل الاستدراكات التي أوردها الإمام محمد عبده في تفسير المنار على الإمام جلال الدين السيوطي في محلها أم لا؟

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة- باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ- (١٠٧/٩)- حديث رقم:٧٣٥٢).

- **أهداف البحث:**

١- جمع استدراكات الإمام محمد عبده على الإمام السيوطي في تفسير المنار من خلال سورة النساء وتناولها بالبحث والدراسة.
٢- الوصول إلى أصوب الأقوال في المسألة بعد عرضها ومناقشتها.
٣- إثراء المكتبة الإسلامية بالبحوث العلمية الخاصة بكتاب الله – تعالى-.

- **منهج الدراسة :**

المنهج المتبع في إخراج البحث هو (المنهج الاستقرائي[١] التحليلي[٢])، وتتمثل أهم مفرداته وخطواته في الآتي:

١- ذكرت نبذة مختصرة عن حياة الأئمة الثلاثة الإمام جلال الدين السيوطي، والإمام محمد عبده، والإمام محمد رشيد رضا – رحمة الله عليهم-.
٢- بحثت عن أفضل النسخ الموجودة لتفسير الجلالين، وتفسير المنار للاعتماد عليهما في نقل قول الإمام جلال الدين السيوطي، والإمام محمد عبده.
٣- عزوت أقوال الإمام السيوطي من كتاب تفسير الجلالين.
٤- عزوت استدراكات الإمام محمد عبده من كتاب تفسير المنار.
٥- ترجمت للأماكن المبهمة التي تحتاج إلي تعريف.
٦- لم أشترط على نفسي كتبا معينة أو مفسرين معينين أذكر أقوالهم مقارنة بقول الإمام السيوطي والإمام محمد عبده، وإنما أذكر أقوال من استطعت منهم حسب الإمكان، وحاجة المسألة في بعض الأحيان حتى أشعر بأن الرؤيا في معرفة الراجح قد وضحت لي بعد الإتيان على أشهر الأقوال في المسألة موضع البحث، وكنت بفضل الله – تعالى- أطالع في كل مسألة غالبا ما قاله أكثر من ثلاثين مفسرا حتى يطمئن قلبي لما رأيت رجحانه.
٧- وضعت عنوان مناسب لكل مسألة يدل على مضمونها مع ذكر الآية التي يدور حولها البحث.
٨- إذا كانت الأقوال الواردة في المسألة مروية عن أحد من السلف الصالح، من الصحابة أو التابعين، ومن بعدهم من أهل الأثر؛ فإنني أذكر بعض من رواه

(١) المنهج الاستقرائي هو: منهج دراسي يُسْتَخدم لحصر كافة الجزئيات والوقائع، وفحصها، ودراسة ظواهرها، ثم إعطاء حكم عام بصددها.[ينظر: كتابة البحث العلمي صيانة جديدة للدكتور/عبد الوهاب أبو سليمان(ص ٥٥)].
(٢) المنهج التحليلي هو: منهج دراسي يُسْتَخدم لتعريف وتقييم للأجزاء المكونة للموضوع قيد البحث كوسيلة للحصول على معرفة جديدة وغنية.[ينظر: مناهج البحث للدكتور/ محمد محمود ربيع(٢٤٦/١)].

منهم بقولي: (وهذا القول مروي عن فلان وفلان)، وأجعل لكل منهم حاشية مستقلة، ثم أتبع ذلك بذكر بعض من ذكر هذا القول من المفسرين بقولي: (وذكره فلان وفلان)، وأجعل لهم جميعا حاشية واحدة تحاشيا لإطالة الحواشي، وليس معنى قولي: (ذكره) أنه اختيار له أو ترجيح، وإنما أعني به أنه ذكره ضمن أقوال أخرى، وإن كان أحد من المفسرين اقتصر على قول من الأقوال نبهت على ذلك بقولي: (واقتصر عليه فلان وفلان)، وأجعل لهم جميعا حاشية أخرى واحدة، وإن كان أحد من المفسرين رجح أحد هذه الأقوال نبهت على ذلك بقولي: (ورجحه فلان وفلان)، وأيضا أجعل لهم حاشية أخرى واحدة.

٩- جئت بخاتمة بعد الانتهاء من الاستدراكات بينت فيها أهم النتائج والتوصيات التي ظهرت لي من خلال رحلتي مع هذا البحث.

- **خطة البحث:**

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وفصل، وخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع، وهي كما يأتي:

المقدمة، وتشمل الآتي:

١- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

٢- الدراسات السابقة.

٣- إشكالية البحث.

٤- أهداف البحث.

٥- المنهج المتبع في البحث.

٦- خطة البحث.

التمهيد: ويشتمل على:

أولاً: التعريف بالأئمة، وفيه:

١- التعريف بالإمام جلال الدين السيوطي – رحمه الله تعالى-.

٢- التعريف بالإمام محمد عبده – رحمه الله تعالى-.

ثانياً: تعريف الاستدراكات لغة، واصطلاحاً.

فصل: استدراكات الإمام محمد عبده على الإمام السيوطي في سورة النساء.

الخاتمة: وتتضمن تلخيصاً لأهم نتائج وتوصيات البحث.

فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد

ويشتمل على:

أولاً: التعريف بالأئمة – رحمة الله عليهم-.

١- التعريف بالإمام جلال الدين السيوطي – رحمه الله تعالى-.

هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد بن خليل بن نصر بن الخضر بن الهمام الجلال بن الكمال بن ناصر الدين الأسيوطي[١].

وأكثر المصادر تسميه بالسيوطي، وقل من يسميه الأسيوطي، غير أن هذه الأخيرة تسميته لنفسه في كتابه حسن المحاضرة.

والسيوطي نسبة إلى أسيوط، "وأَسْيُوط" بالفتح ثم السكون وياء مضمومة وواو ساكنة وطاء مهملة، وهي مدينة في غربي النيل من نواحي صعيد مصر وهي مدينة جليلة كبيرة"[٢].

وجده الأعلى كان أعجمياً، أو من المشرق كما خط ذلك السيوطي بيده[٣]، ولا يعرف من أجداده من خدم العلم حق الخدمة إلا والده[٤].

٢- التعريف بالإمام محمد عبده – رحمه الله تعالى-.

هو محمد عبده بن حسن خير الله التركماني المصري والتركمان هم أجداد الشيخ محمد عبده، وقد سأل والده عنهم فقال له إن نسبنا ينتهي إلى جد تركماني، جاء من بلاد التركمان في جماعة من أهله، وسكنوا في الخيام وأقاموا بمحافظة (البُحَيْرة)، وأما بيت والدته، فيقال هو بيت من أصل عربي، يتصل في النسب بعمر بن الخطاب - رضي الله عنه -[٥]، ولد الشيخ محمد عبده عام (١٢٦٦هـ) الموافق عام (١٨٤٩م)، (بحصة شبشير) التابعة لمحافظة (الغربية)، ونشأ وتربى بقرية (محلة نصر) مركز (شبراخيت) من أعمال محافظة (البحيرة)[٦].

نشأ في بيت من طبقة متوسطة بين والدين كانا من أسلم الناس فطرة وأحسنهم خلقا، مما كان لذلك الدور الأكبر في

---

(١) ينظر: الضوء اللامع للسخاوي(٦٥/٤)، وحسن المحاضرة للسيوطي(٣٣٦/١)، والنور السافر للعَيْدَرُوس(ص٥١)، والبدر الطالع للشوكاني(٣٢٨/١)، وهدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي(٥٣٤/١)، وفهرس الفهارس للكتاني(١٠١٠/٢).

(٢) ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي(١٩٣/١).

(٣) ينظر: حسن المحاضرة للسيوطي(٣٣٦/١)، والتحدث بنعمة الله للسيوطي(ص٥٧)، والنور السافر للعَيْدَرُوس (٥١/١).

(٤) ينظر: حسن المحاضرة للسيوطي(٣٣٦/١).

(٥) ينظر: تاريخ الأستاذ الأمام للسيد رشيد رضا(١٦/١- ١٧)، والأعلام للزركلي(٦/ ٢٥٢).

(٦) ينظر: تاريخ الأستاذ الأمام للسيد رشيد رضا(١٣/١- ١٦)، وعبقري الإصلاح لعباس العقاد(٦٤/١)، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة(٢٧٢/١٠).

أن ينشأ نشأة صالحة، حيث تعلم القراءة والكتابة في بيت والده وهو في السابعة من عمره، ثم ذهب الى معلم خاص في بيته ليعلمه القرآن، فقرأ عليه حتى ختم القرآن الكريم وهو في العاشرة من عمره، وبعد ذلك حمله والده إلى طنطا لتعلم أحكام التجويد بالمسجد الأحمدي، ثم تعلم بعض العلوم الشرعية والعربية، ثم بعد ذلك رحل إلى الأزهر عام (١٨٦٦م)، وأخذ عن شيوخه وداوم على طلب العلم به، وحافظ على العزلة والبعد عن الناس وسلك مسلك التصوف.

ثانياً: تعريف الاستدراكات لغة واصطلاحاً:

- **تعريف الاستدراكات لغة:**

أصل كلمة (اسْتِدرَاك) بعد تجريدها من الزوائد (دَرَك)، وأما الاستدراك فهو من باب الاستفعال وفيه معنى الطلب، ونذكر فيما يلى بعض أقوال أئمة اللغة كي نفهم معنى هذه الكلمة:

قال الخليل الفراهيدى(١): "والدَّرَكُ: اللَّحَقُ مِنَ التَّبِعَةِ، والدِّراك: إتباع الشيء بعضه على بعض في كل شيء، يطعنه طعنا دراكاً متداركاً، أي: تباعاً واحداً إثر واحد"(٢).

وقال ابن فارس(٣): "(دَرَكَ) الدَّالُ وَالرَّاءُ وَالْكَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ لُحُوقُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ وَوُصُولُهُ إِلَيْهِ، يُقَالُ أَدْرَكْتُ الشَّيْءَ أُدْرِكُهُ إِدْرَاكًا، وَيُقَالُ: فَرَسٌ دَرَكُ الطَّرِيدَةِ، إِذَا كَانَتْ لَا تَفُوتُهُ طَرِيدَةٌ، وَيُقَالُ: أَدْرَكَ الْغُلَامُ وَالْجَارِيَةُ، إِذَا بَلَغَا، وَتَدَارَكَ الْقَوْمُ: لَحِقَ آخِرُهُمْ أَوَّلَهُمْ، وَتَدَارَكَ الثُّرَيَانِ، إِذَا أَدْرَكَ الثُّرَى الثَّانِي الْمَطَرَ الْأَوَّلَ، فأما قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾(٤) فهو من هذا؛ لأن علمهم أدركهم في الآخرة حين لم ينفعهم، ومن ذلك الدرك، وهي منازل أهل النار، وذلك

(١) الخليل الفراهيدي هو: الخَلِيل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي أبو عبد الرحمن، من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها، وهو أستاذ سيبويه النحويّ، ولد ومات في البصرة، وعاش فقيرا صابرا، كان شعث الرأس، شاحب اللون، متمزق الثياب، متقطع القدمين، مغمورا في الناس لا يعرف (ت١٧٠هـ)، من مؤلفاته: كتاب العين، ومعاني الحروف، وجملة آلات العرب، وتفسير حروف اللغة، وكتاب العروض.[ينظر: تقريب التهذيب(١٩٥/١)، والبداية والنهاية(١٦١/١٠- ١٦٢)، والأعلام للزركلي(٣١٤/٤)].

(٢) ينظر: العين للخليل بن أحمد- باب الكاف والدال واللام وما معهما "درك"(٣٢٨/٥).

(٣) ابن فارس هو: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازيّ، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب، مولده بقزوين، ومرباه بهمذان، وأكثر الإقامة بالري وتوفي فيها، وإليها نسبته، وكان رأسا في الأدب (ت٣٩٥هـ)، من مؤلفاته: مقاييس اللغة، والمجمل، وجامع التأويل "في تفسير القرآن". [ينظر: سير أعلام النبلاء(٥٣٨/١٢- ٥٣٩)، والأعلام للزركلي(١٩٣/١)].

(٤) سورة النمل، الآية(٦٦).

أن الجنة درجات، والنار دركات، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[١]، وهي منازلهم التي يدركونها ويلحقون بها نعوذ بالله منها"[٢].

وقال الزمخشري[٣]: "وتدارك خطأ الرأي بالصواب واستدركه، واستدرك عليه قوله"[٤].

وجاء في المعجم الوسيط: "(استدرك) مَا فَاتَ تَدَارُكه وَالشَّيْء بالشَّيْء تَدَارُكه بِهِ، وعليه القول: أصلح خطأه، أو أكمل نقصه، أو أزال عنه لبساً"[٥].

ومما تقدم يظهر أن للاستدراك في اللغة استعمالان:

الأول: أن يستدرك الشئ بالشئ، إذا حاول اللَّحاق به، يقال: استدرك النجاة بالفرار، ويقال: تدارك القوم أى تلاحقوا، أى لحق آخرهم أولهم.

والثانى: في مثل قولهم: استدرك الرَّأى والأمر، إذا تلافى ما فرَّط فيه من الخطأ، أو النقص.

- **تعريف الاستدراكات اصطلاحاً:**

يمكن القول بأن المراد بالاستدراك في علم التفسير يعود للمعنى اللغوى الثانى، فيكون المراد به:

إتباع المفسر قولاً يذكره في بيان معنى في القرآن بقول آخر، يصلح خطأه، أو يكمل نقصه، أو يزيل عنه لبساً[٦].

ويظهر لنا من خلال التعريف السابق للاستدراكات أمرين مهمين:

١- أن المقصود هنا هو تناول الاستدراكات المتعلقة بالتفسير دون غيرها.

٢- أن الاستدراكات أنواع ثلاثة، وهى:

الأول: إصلاح خطأ القول الأول.

الثانى: تكميل النقص في القول الأول.

---

(١) سورة النساء، الآية(١٤٥).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس- كتاب الدال- باب الدال والراء وما يثلثهما(٢٦٩/٢).

(٣) الزمخشري هو: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، الزمخشري الخوارزمي النحوي، العلامة، كبير المعتزلة، صاحب "الكشاف" و"المفصل"، رحل، وسمع ببغداد من نصر بن البطر وغيره، وحج، وجاور، وتخرج به أئمة، وكان مولده بزمخشر - قرية من عمل خوارزم- في رجب سنة(٤٦٧ه)، وكان رأسا في البلاغة والعربية والمعاني والبيان. مات ليلة عرفة سنة(٥٣٨ه)، من مؤلفاته: الكشاف، والمفصل، والفائق في غريب الحديث، وربيع الأبرار، وأساس البلاغة، ومشتبه أسامي الرواة، وكتاب النصائح، والمنهاج في الأصول، وضالة الناشد.[ينظر: سير أعلام النبلاء(١٧/١٥- ١٩)، وطبقات المفسرين(١٢٠/١- ١٢١)].

(٤) ينظر: أساس البلاغة للزمخشري – كتاب الدال "درك"(٢٨٥/١).

(٥) المعجم الوسيط (باب الدال- ٢٨١/١).

(٦) ينظر: رسالة "استدراكات السلف في التفسير"، رسالة دكتوراه لنايف الزهراني(ص:٩).

الثالث: إزالة اللبس والغموض عن القول الأول.
وعليه يتخذ مصطلح الاستدراكات ترابطاً بين قولين يكون الثانى فيهما لاحقاً للأول، جامعاً بين أمور ثلاثة:
فإما أن يكون إصلاح القول الثانى لخطأ القول الأول، وإما أن يكون إكمال نقص منه للقول الأول، وإما أن يكون إزالة لبس وقع فيه القول الأول.

فصل: استدراكات الإمام محمد عبده على الإمام السيوطي في سورة النساء

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول:

المقصودون بالخطاب في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ في آية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[١].

- **رأي الإمام السيوطي:**

"﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ أي أهل مكة ﴿ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ أي عقابه بأن تطيعوه"[٢].

- **رأي الإمام محمد عبده:**

"وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ خطاب عام ليس خاصا بقوم دون قوم، فلا وجه لتخصيصها بأهل مكة كما فعل المفسر (الجلال) لاسيما مع العلم بأن السورة مدنية إلا آية واحدة فيها شك، هل هي مدنية أم مكية، ولفظ الناس اسم لجنس البشر، قيل: أصله "أناس" فحذفت الهمزة عند إدخال الألف واللام عليه....، وأقول: إن كلمة يا أيها الناس كثيرة في السور المكية كالأعراف، ويونس، والحج، والنمل، والملائكة، ووردت أيضا في البقرة، والنساء، والحجرات من السور المدنية، فخطاب أهل مكة فيها هو الغالب، وهو مع ذلك يعم غيرهم، ووروردها في السور المدنية يراد به خطاب جميع المكلفين ابتداء، وما أظن أن ابن عباس قال في فاتحة النساء: إنها خطاب لأهل مكة، بل يوشك أن يكون قد قال نحوا مما رويناه آنفا عن الوالد فتصرف فيه الناقلون، وحملوه على كل فرد من أفراد هذا الخطاب حتى غلط فيه الجلال السيوطي في التفسير، وإن حقق في الإتقان أن السورة مدنية"[٣].

(١) سورة النساء، الآية(١).
(٢) تفسير الجلالين(٩٧/١).
(٣) تفسير المنار(٢٦٤/٤- ٢٦٥).

- **محل الاستدراك:**

يرى الإمام السيوطي أن الخطاب في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ خاص بأهل مكة، وقد استدرك عليه الإمام محمد عبده وذكر بأن الخطاب عام ليس خاصا بقوم دون قوم، فلا وجه لتخصيصها بأهل مكة دون غيرهم(١).

- **دراسة الاستدراك:**

ينادي الرب تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة عباده بلفظ عام يشمل مؤمنهم وكافرهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ الذي أنشأكم من العدم، ورباكم وشملكم بالجود والكرم، واذكروا أنه خلقكم من نفس واحدة وجعلكم جنسا تقوم مصالحه على التعاون والتآزر، وحفظ بعضكم حقوق بعض، واتقوا الله الذي تعظمونه وتتساءلون فيما بينكم باسمه الكريم، وبحقه على عباده وبما له من السلطان والجبروت، وتذكروا حقوق الرحم عليكم فلا تفرطوا فيها، فإنكم إن فعلتم ذلك أفسدتم الأسر والعشائر، فعليكم أن تحافظوا على هاتين الرابطتين رابطة الإيمان ورابطة الرحم الوشيجة، والله رقيب عليكم يعلم ما تأتون وما تذرون، ويحاسبكم على النقير والقطمير ولا يظلم ربك أحدا(٢).

وقد اختلف المفسرون في المقصودين بـ(الخطاب) في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ على قولين:

القول الأول: أن الخطاب في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ خاص بأهل مكة، وذكر هذا القول السمعاني، والراغب، وابن عطية(٣)، واقتصر عليه الواحدي عن ابن عباس(٤)، والسيوطي(٥).

قال الواحدي: "﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ يا أهل مكة"(٦).

وقال السمعاني: "قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قال علقمة: كل ما نزل في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾

(١) ينظر: تفسير الجلالين(٩٧/١)، وتفسير المنار(٢٦٤/٤- ٢٦٥).
(٢) ينظر: تفسير المراغي(١٧٤/٤- ١٧٥)، وأيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري(٤٣٣/١).
(٣) ينظر: تفسير السمعاني(٣٩٣/١)، وتفسير القرآن للراغب الأصفهاني(١٠٧/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية(٣/٢).
(٤) ينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي(٤٧٥/٩).
(٥) ينظر: تفسير الجلالين(٩٧/١).
(٦) ينظر: الوجيز للواحدي(٢٥١/١).

فإنما نزل بمكة، وكل ما ورد في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فإنما نزل بالمدينة"[١].

القول الثاني: أن الخطاب في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ خطاب عام ليس خاصا بقوم دون قوم، فلا وجه لتخصيصها بأهل مكة، وذكر هذا القول ابن عادل[٢]، واقتصر عليه السمرقندي، والبيضاوي، والنسفي، وابن جزي، والخازن، وأبو السعود، والشوكاني، والألوسي، وعبد الكريم الخطيب، وابن عاشور[٣]، ورجحه الفخر الرازي، والقرطبي، وأبو حيان، ومحمد عبده، ومحمد أبو زهرة[٤]. زهرة[٤].

قال البيضاوي: "﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ خطاب يعم بني آدم"[٥].

- **الترجيح:**

أرى – والله أعلم- أن الراجح هو ما ذهب إليه الإمام محمد عبده أن الخطاب في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ خطاب عام ليس خاصا بقوم دون قوم، فلا وجه لتخصيصه بأهل مكة دون غيرهم، وذلك للأدلة الآتية:

الأول: أن لفظ الناس جمع دخله الألف واللام فيفيد الاستغراق.

الثاني: أن الله - تعالى- علل الأمر بالاتقاء بكونه تعالى خالقا لهم من نفس واحدة، وهذه العلة عامة في حق جميع المكلفين بأنهم من آدم - عليه السلام- خلقوا بأسرهم، وإذا كانت العلة عامة كان الحكم عاما.

الثالث: أن التكليف بالتقوى غير مختص بأهل مكة، بل هو عام في حق جميع العالمين.

---

(١) ينظر: تفسير السمعاني(٣٩٣/١).

(٢) ينظر: اللباب لابن عادل(١٣٩/٦).

(٣) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي(٢٧٨/١)، وأنوار التنزيل للبيضاوي(٥٨/٢)، ومدارك التنزيل للنسفي(٣٢٦/١)، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي(١٧٦/١)، ولباب التأويل للخازن(٣٣٧/١)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود(١٣٧/١)، وفتح القدير للشوكاني(٤٧٩/١)، وروح المعاني للألوسي(٢٩٠/٢)، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب(٦٨٢/٢)، والتحرير والتنوير لابن عاشور(٢١٤/٤).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي(٤٧٥/٩- ٤٧٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١/٥)، والبحر المحيط لأبي حيان(٤٩٣/٣)، وتفسير المنار(٢٦٤/٤- ٢٦٥)، وزهرة التفاسير لمحمد أبي زهرة(١٥٧٣/٣- ١٥٧٤).

(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي(٥٨/٢).

وإذا كان لفظ الناس عاما في الكل، وكان الأمر بالتقوى عاما في الكل، وكانت علة هذا التكليف، وهي كونهم خلقوا من النفس الواحدة عامة في حق الكل، كان القول بالتخصيص في غاية البعد.

الرابع: وأما حجة ابن عباس أن قوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ ﴾ مختص بالعرب؛ لأن المناشدة بالله وبالرحم عادة مختصة بهم، فيقولون أسألك بالله وبالرحم، وأنشدك الله والرحم، وإذا كان كذلك كان قوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ ﴾ مختصا بالعرب، فكان أول الآية وهو قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ مختصا بهم؛ لأن قوله في أول الآية: ﴿ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ وقوله بعد ذلك: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ ﴾ وردا متوجهين إلى مخاطب واحد، يمكن أن يجاب عنه بأنه ثبت في أصول الفقه أن خصوص آخر الآية لا يمنع من عموم أولها، فكان قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ عاما في الكل، وقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ ﴾ خاصا بالعرب[١].

الخامس: أن هذا القول قال به جمهور المفسرين، ومن القواعد التفسيرية: "تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملا"[٢].

قال ابن عاشور: "جاء الخطاب بـ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ ليشمل جميع أمة الدعوة الذين يسمعون القرآن يومئذ وفيما يأتي من الزمان، فضمير الخطاب في قوله: ﴿ خَلَقَكُم ﴾ عائد إلى الناس المخاطبين بالقرآن، أي لئلا يختص بالمؤمنين؛ إذ غير المؤمنين حينئذ هم كفار العرب، وهم الذين تلقوا دعوة الإسلام قبل جميع البشر؛ لأن الخطاب جاء بلغتهم، وهم المأمورون بالتبليغ لبقية الأمم، وقد كتب النبيء - صلى الله عليه وسلم- كتبه للروم وفارس ومصر بالعربية لتترجم لهم بلغاتهم"[٣].

وقال محمد أبو زهرة: "أما ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ فتخصيصها بأهل مكة تخصيص بغير مخصص، إنما تسري على عمومها، وهو عموم الخطاب لمن يعقلون، وذلك اللفظ وما هو مضمون النداء عام شامل جميع الناس، فكلمة الناس تشمل كل بني

(١) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان(٤٩٣/٣)، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي(٤٧٥/٩- ٤٧٦).
(٢) ينظر: قواعد التفسير لخالد السبت(٨٠٤/٢).
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور(٢١٤/٤).

الإنسان، وما في مضمون النداء من إنذار وتبشير وبيان للحقائق الوجودية والكونية، والأدلة والبراهين أمور عامة لا تختص بقبيل دون قبيل، ولا بقوم دون قوم"[١].

وللأدلة السابقة يتبين لنا أن استدراك الإمام محمد عبده على الإمام السيوطي استدراك في محله، وأن الراجح حمل الخطاب على العموم – والله أعلم-.

المبحث الثاني:

معنى ﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾[٢].

- **رأي الإمام السيوطي:**

"﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا ﴾ أي أطعموهم منها ﴿ وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾ عدوهم عدة جميلة بإعطائهم أموالهم إذا رشدوا"[٣].

- **رأي الإمام محمد عبده:**

"وإنما قال: ﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا ﴾ ولم يقل منها لأن المراد كما قال في الكشاف: "اجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا؛ حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإنفاق اهـ"[٤]، أي إن ما ينفق من أصله، وصلبه ينقص رويدا رويدا حتى يذهب كله، وتبع الكشاف فيما قاله الإمام الرازي، والأستاذ الإمام، وقال الأستاذ الإمام: الرزق يعم وجوه الإنفاق كلها كالأكل، والمبيت، والزواج، والكسوة، وإنما قال: ﴿ وَٱكۡسُوهُمۡ ﴾ فخص الكسوة بالذكر؛ لأن الناس يتساهلون فيها أحيانا، وتخصيص (الجلال) أي وغيره ممن نقل هو عنهم الرزق بالإطعام لا يصح اهـ، وقال الرازي: "إن الرزق من العباد هو الإجراء الموظف لوقت معلوم، يقال: فلان رزق عياله أي أجرى عليهم" اهـ"[٥]، يعني أن كل النفقات المرتبة في أوقات معينة تسمى رزقا، وهو معنى اصطلاحي أخص من المعنى اللغوي، والغرض من هذا وذاك هو جعلهم الرزق هنا شاملا لأنواع

(١) زهرة التفاسير لمحمد أبي زهرة(١٥٧٣/٣- ١٥٧٤).
(٢) سورة النساء، الآية(٥).
(٣) تفسير الجلالين(٩٨/١).
(٤) الكشاف للزمخشري(٤٧٢/١).
(٥) مفاتيح الغيب للفخر الرازي(٤٩٦/٩).

النفقات الواجبة بالنص حتى لا يقول قائل: إن الواجب هو الطعام، والكسوة دون الإيواء، والتربية، والتعليم وغير ذلك"[١].

- **محل الاستدراك:**

خص الإمام السيوطي المقصود بالرزق في قوله تعالى: ﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا ﴾ بالإطعام من هذه الأموال، وقد استدرك عليه الإمام محمد عبده تخصيصه للرزق بالإطعام وذكر أن هذا لا يصح، ورجح أن الرزق يعم وجوه الإنفاق كلها كالأكل، والمبيت، والزواج، والكسوة، وإنما قال تعالى: ﴿ وَٱكۡسُوهُمۡ ﴾ فخص الكسوة بالذكر؛ لأن الناس يتساهلون فيها أحيانا[٢].

- **دراسة الاستدراك:**

بعد أن أمر الله – تعالى- في الآيات السالفة بإيتاء اليتامى أموالهم، وبإيتاء النساء مهورهن أتى في هذه الآية والتي بعدها بشرط للإيتاء يشمل الأمرين معا وهو ألا يكون كل منهما سفيها، مع بيان أنهم يرزقون فيها، ويكسون مادامت في أيديهم مع قول المعروف لهم حتى تحسن أحوالهم، وأنه لا تسلم إليهم الأموال إلا إذا أونس منهم الرشد، وأنه لا ينبغي الإسراف في أكل أموال اليتامى، فمن كان من الأولياء غنيا فليعف عن الأكل من أموالهم، ومن كان فقيرا فليأكل بما يبيحه الشرع، ويستجيزه أرباب المروءة[٣].

وقد اختلف المفسرون في المقصود بـ(الرزق) في قوله تعالى:﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا ﴾ على قولين:

القول الأول: أن الرزق في الآية الكريمة يشمل ويعم جميع وجوه الإنفاق كلها: كالأكل، والمبيت، والزواج، والكسوة، وغيرها، وروي هذا عن ابن عباس[٤]، وذكر هذا القول الخازن، والنيسابوري، وأبو السعود[٥]، واقتصر عليه الطبري، وابن عطية، والقرطبي، والبيضاوي، وابن جزي، وأبو حيان، وابن كثير، وابن عادل، والشوكاني، والألوسي، والقاسمي، والسعدي، وابن عاشور[٦]،

(١) تفسير المنار(٣١٥/٤).
(٢) ينظر: تفسير الجلالين(٩٨/١)، وتفسير المنار(٣١٥/٤).
(٣) ينظر: تفسير المراغي(١٨٥/٤- ١٨٦)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي(١-١٦٤)، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب(٧٠٣/٢- ٧٠٤).
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره(٨٦٤/٣- الأثر٤٧٩١).
(٥) ينظر: لباب التأويل للخازن(٣٤١/١)، وغرائب القرآن للنيسابوري(٣٥٢/٢)، وإرشاد العقل العقل السليم لأبي السعود(١٤٥/٢).
(٦) ينظر: جامع البيان للطبري(٥٧١/٧- ٥٧٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية(١٠/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٣٢/٥)، وأنوار التنزيل للبيضاوي(٦٠/٢)، والتسهيل لعلوم

واقتصر على نحوه الفخر الرازي[١]، ورجحه محمد عبده، ووافقه المراغي[٢].

قال ابن جزي: "﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ ﴾ قيل: إنها فيمن تلزم الرجال نفقته من زوجته وأولاده، وقيل: في المحجورين يرزقون ويكسون من أموالهم"[٣].

القول الثاني: أن معنى ﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا ﴾ أي أطعموهم منها، وذكره السمرقندي، والثعلبي، والبغوي[٤]، واقتصر عليه السيوطي[٥].

قال الثعلبي: "﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا ﴾ أي أطعموهم واكسوهم لمن يجب عليكم رزقه ويلزمكم نفقته، والرزق من الله - عز وجل - عطية غير محدودة، ومن الناس الإجراء الموظف بوقت محدود"[٦].

- **الترجيح:**

أرى – والله أعلم- أن الراجح هو ما ذهب إليه الإمام محمد عبده أن المقصود بالرزق في قوله تعالى: ﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا ﴾ يشمل ويعم جميع وجوه الإنفاق كلها: كالأكل، والمبيت، والزواج، والكسوة، وغيرها، سواء كان المأمور بالإنفاق عليهم: فيمن يلزم الرجل نفقته وكسوته من زوجه وبنيه الأصاغر، أو اليتامى المحجور عليهم في أموالهم لسفههم، وعدم حسن تصرفهم فيها، وذلك هو الراجح لأنه هو الموافق لمقاصد الشريعة؛ لأن اليتيم المحجور عليه، أو الزوجة، أو الابن الصغير لا تقتصر احتياجاتهم على الطعام فحسب كما ذكره السيوطي، فهم كما يحتاجون إلى المأكل، يحتاجون أيضا إلى المبيت، والزواج، والكسوة، والتربية، والتعليم، وغيرها من متطلبات الحياة، وأنا أرى – والله أعلم- أن الإمام السيوطي عندما اقتصر على تفسير الرزق بالإطعام ربما قصد التمثيل ببعض أنواع هذا الرزق المأمور به في قوله تعالى: ﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا ﴾ ولم يرد الاقتصار على الإطعام فحسب.

التنزيل لابن جزي(١٧٨/١)، والبحر المحيط لأبي حيان(٥١٧/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير(٢١٤/٢- ٢١٥)، واللباب لابن عادل(١٨٤/٦)، وفتح القدير للشوكاني(١/ ٤٩٠)، وروح المعاني للألوسي(٤١٤/٢)، ومحاسن التأويل للقاسمي(٢٨٢٩٨/٣)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي(١-١٦٤)، والتحرير والتنوير لابن عاشور(٢٣٦/٤).

(١) ينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي(٤٩٦/٩).

(٢) ينظر: تفسير المنار(٣١٥/٤)، وتفسير المراغي(١٨٥/٤- ١٨٦).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي(١٧٨/١).

(٤) بحر العلوم للسمرقندي(٢٨١/١- ٢٨٢)، والكشف والبيان للثعلبي(٢٥٣/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي(٥٦٧/١).

(٥) تفسير الجلالين(٩٨/١).

(٦) الكشف والبيان للثعلبي(٢٥٣/٣).

قال الطبري: "فتأويل قوله: ﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ ﴾ على التأويل الذي قلنا في قوله: ﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ﴾ وأنفقوا على سفهائكم من أولادكم ونسائكم الذين تجب عليكم نفقتهم من طعامهم وكسوتهم في أموالكم، ولا تسلِّطوهم على أموالكم فيهلكوها، وعلى سفهائكم منهم ممن لا تجب عليكم نفقته، ومن غيرهم الذين تَلُون أنتم أمورهم من أموالهم فيما لا بد لهم من مؤنهم في طعامهم وشرابهم وكسوتهم؛ لأن ذلك هو الواجب من الحكم في قول جميع الحجة، لا خلاف بينهم في ذلك، مع دلالة ظاهر التنزيل على ما قلنا في ذلك"(١).

وقال القاسمي: "في هذه الآية الحجر على السفيه، وأنه لا يُمكَّن من ماله، وأنه يُنفَق عليه منه ويُكسَى، ولا ينفق في التبرعات، وأنه يقال له معروف"(٢).

وللأدلة السابقة يتبين لنا أن استدراك الإمام محمد عبده على الإمام السيوطي في هذه المسألة استدراك في محله، وأن الراجح أن الأمر بـ(الرزق) في قوله تعالى:﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا ﴾ يشمل ويعم جميع وجوه الإنفاق كلها: كالأكل، والمبيت، والزواج، والكسوة، والتعليم، وغيرها – والله أعلم-.

المبحث الثالث:

المقصود بـ(العَضْل) في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾(٣).

- **رأي الإمام السيوطي:**

"﴿ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ ﴾ أي تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بإمساكهن ولا رغبة لكم فيهن ضرارا ﴿ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ ﴾ من المهر"(٤).

(١) جامع البيان للطبري(٥٧١/٧- ٥٧٢).
(٢) محاسن التأويل للقاسمي(٢٨٢٩٨/٣).
(٣) سورة النساء، الآية(١٩).
(٤) تفسير الجلالين(١٠٢/١).

- **رأي الإمام محمد عبده:**

"وخص الآية في الجلالين بالمنع من الزواج، ورده الأستاذ الإمام قال: ليس معنى العضل هنا ما قاله المفسر (الجلال) من أنه المنع من زواج الغير بل معناه لا تضاروهن، ولا تضيقوا عليهن ليكرهنكم، ويضطررن إلى الافتداء منكم، فقد كانوا يتزوجون من يعجبهم حسنها، ويزوجون من لا تعجبهم أو يمسكونها حتى تفتدي بما كانت ورثت من قريب الوارث، أو ما كانت أخذت من صداق، ونحوه، أو المجموع من هذا وذاك، وربما كلفوها الزيادة إن علموا أنها تستطيعها، وذلك هو العضل المحرم هنا، أقول: وروي نحو من هذا، عن أبي جعفر (رضي الله عنه) وكثير من المفسرين"[(١)].

- **محل الاستدراك:**

يرى الإمام السيوطي أن المقصود بـ(العَضْل) في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ منع الزوج لزوجته من الزواج من الغير وذلك بإمساكها مع عدم الرغبة فيها إضرارا لها، وقد استدرك عليه الإمام محمد عبده بقوله: "ليس معنى العضل هنا ما قاله المفسر (الجلال) من أنه المنع من زواج الغير بل معناه لا تضاروهن، ولا تضيقوا عليهن ليكرهنكم، ويضطررن إلى الافتداء منكم"[(٢)].

- **دراسة الاستدراك:**

تضمنت الآية الكريمة إبطال ما كان شائعا بين الناس قبل الإسلام من الظلم اللاحق بالنساء، فقد كان الرجل إذا مات والده وله زوجة ورثها أكبر أولاده من غيرها فإن شاء زوجها وأخذ مهرها وإن شاء استبقاها حتى تعطيه ما يطلب منها من مال فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ ﴾، فبطل ذلك الحكم الجاهلي بهذه الآية الكريمة، وأصبحت المرأة إذا مات زوجها اعتدت في بيت زوجها فإذا انقضت عدتها ذهبت حيث شاءت ولها ما لها وما ورثته من زوجها أيضا، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ ﴾ فهذا حكم آخر وهو أن يحرم على الزوج إذا كره زوجته أن يضايقها ويضارها حتى تفتدي منه ببعض مهرها، إذ من معاني العضل المضايقة والمضارة[(٣)].

---

(١) تفسير المنار(٣٧٢/٤).
(٢) ينظر: تفسير الجلالين(١٠٢/١)، وتفسير المنار(٣٧٢/٤).
(٣) ينظر: أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري(٤٥٣/١).

وقد اختلف المفسرون في المقصود بـ(العضل) في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ على قولين:

القول الأول: أن المقصود بـ(العضل) في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ منع الزوج لزوجته من الزواج من الغير وذلك بإمساكهن مع عدم الرغبة فيها إضرارا لها؛ حتى تفتدي منه ببعض مهرها، وذكر نحو هذا القول السمعاني، والراغب، والكيا الهراسي[١]، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، وابن عادل، والنيسابوري، والبقاعي، وأبو السعود[٢]، واقتصر عليه البيضاوي، والسيوطي[٣].

قال الفخر الرازي: "المسألة الثالثة: المخاطب في قوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ من هو؟ فيه أقوال:....الرابع: أنه خطاب للأزواج، فإنهم في الجاهلية كانوا يطلقون المرأة وكانوا يعضلونهن عن التزوج ويضيقون الأمر عليهن لغرض أن يأخذوا منهن شيئا"[٤].

القول الثاني: أن المقصود بـ(العضل) في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ معناه لا تضاروهن، ولا تضيقوا عليهن ليكرهنكم، ويضطررن إلى الافتداء منكم بما كانت أخذت من صداق، ونحوه، وروي نحو ذلك عن السدي، والضحاك[٥]، وذكر هذا القول ابن أبي زمنين، والسمعاني، والراغب، والكيا الهراسي، والبغوي، وابن

---

(١) الكيا الهراسي هو: أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري، الملقب عماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الفقيه الشافعي؛ كان من أهل طبرستان، وخرج إلى نيسابور وتفقه على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني مدة إلى أن برع، وكان حسن الوجه جهوري الصوت فصيح العبارة حلو الكلام، ثم خرج من نيسابور إلى بيهق ودرس بها مدة، ثم خرج إلى العراق وتولى تدريس المدرسة النظامية ببغداد إلى أن توفي، واتهم بمذهب الباطنية فرُجم، وأراد السلطان قتله فحماه المستظهر، وشهد له، (ت٥٠٤هـ)، من مؤلفاته: أحكام القرآن. [ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان(٢٨٦/٣- ٢٨٧)، والأعلام للزكلي(٣٢٩/٤-٣٣٠)].

(٢) ينظر: تفسير السمعاني(٤٠٩/١)، وتفسير القرآن للراغب الأصفهاني(١١٤٩/٣- ١١٥١)، وأحكام القرآن للكيا الهراسي(٣٨٠/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي(٥٨٧/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية(٢٦/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي(٣٨٥/١)، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي(١٢/١٠)، واللباب لابن عادل(٢٥٦/٦)، وغرائب القرآن للنيسابوري(٣٧٦/٢)، ونظم الدرر للبقاعي(٢٢٤/٥)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود(١٥٨/٢).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي(٦٦/٢)، وتفسير الجلالين(١٠٢/١).

(٤) مفاتيح الغيب للفخر الرازي(١٢/١٠).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره(٩٠٣/٣- الأثر٥٠٣٣).

عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، وابن جزي، وابن كثير، وابن عادل، والنيسابوري، والثعالبي، والبقاعي، وأبو السعود[١]، واقتصر عليه الثعلبي، ومكي، والواحدي، والزمخشري، والنسفي، والخازن[٢]، ورجحه محمد عبده[٣].

قال الواحدي: "﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ كان الرجل يمسك المرأة ليس له فيها حاجة إضرارا بها حتى تفتدي بمهرها فَنُهوا عن ذلك"[٤].

- **الترجيح:**

أرى – والله أعلم- أن الراجح في المقصود بـ(العضل) في الآية الكريمة هو ما ذهب إليه الإمام محمد عبده أنه خطاب للأزواج معناه لا تضاروهن، ولا تضيقوا عليهن ليكرهنكم، ويضطررن إلى الافتداء منكم بما كانت أخذت من صداق، ونحوه، وذلك للأدلة الآتية:

الأول: لأن السياق اللحاق في نفس الآية يؤيد أن الخطاب للأزواج، وهو قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ ﴾ وإذا أتت بفاحشة، فليس للولي حبسها حتى يذهب بمالها إجماعا من الأمة، وإنما ذلك للزوج كما ذكر ذلك الثعالبي[٥]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ يظهر منه تقوية القول بأن الخطاب للأزواج؛ لأن هذه المعاشرة لا تكون إلا بين الأزواج.

---

(١) ينظر: تفسير ابن أبي زمنين(١/٣٥٥)، وتفسير السمعاني(١/٤٠٩)، وتفسير القرآن للراغب الأصفهاني(٣/١١٤٩- ١١٥١)، وأحكام القرآن للكيا الهراسي(٢/٣٨٠)، ومعالم التنزيل للبغوي(١/٥٨٧)، والمحرر الوجيز لابن عطية(٢/٢٦)، وزاد المسير لابن الجوزي(١/٣٨٥)، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي(١٠/١٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي(١/١٨٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير(٢/٢٤١)، واللباب لابن عادل(٦/٢٥٦)، وغرائب القرآن للنيسابوري(٢/٣٧٦)، والجواهر الحسان للثعالبي(٢/١٩٤- ١٩٥)، ونظم الدرر للبقاعي(٥/٢٢٤)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود(٢/١٥٨).

(٢) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي(٣/٢٧٦)، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي(٢/١٢٦)، والوجيز للواحدي(١/٢٥٧)، والكشاف للزمخشري(١/٤٩٠)، ومدارك التنزيل للنسفي(١/٣٤٣)، ولباب التأويل للخازن(١/٣٥٦).

(٣) ينظر: تفسير المنار(٤/٣٧٢).

(٤) الوجيز للواحدي(١/٢٥٧).

(٥) ينظر: الجواهر الحسان للثعالبي(٢/١٩٤- ١٩٥).

ومن القواعد الترجيحية عند المفسرين: "القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه"[١].

الثاني: أن هذا القول قال به جمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم فهو مروى عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والسدي[٢].

قال الفخر الرازي: "المسألة الثالثة: المخاطب في قوله: ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ من هو؟ فيه أقوال:

الأول: أن الرجل منهم قد كان يكره زوجته ويريد مفارقتها، فكان يسيء العشرة معها ويضيق عليها حتى تفتدي منه نفسها بمهرها، وهذا القول اختيار أكثر المفسرين"[٣].

ومن القواعد التفسيرية: "تُحْمَل الآية على القول الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملا"[٤].

وللأدلة السابقة يتبين لنا أن استدراك الإمام محمد عبده على الإمام السيوطي في هذه المسألة استدراك في محله – والله أعلم-.

المبحث الرابع:

المقصود بـ(الباطل) في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾[٥].

- **رأي الإمام السيوطي:**

"﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ بالحرام في الشرع كالربا والغصب"[٦].

- **رأي الإمام محمد عبده:**

"فسر الجلال وغيره الباطل بالمحرم وهو إحالة للشيء على نفسه، فإن الله حرم الباطل بهذه الآية، فقولهم: إن الباطل هو المحرم يجعل حاصل معنى الآية: إنني

(١) ينظر: قواعد الترجيح للحربي(٢٩٩/١).
(٢) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي(٣٨٥/١).
(٣) مفاتيح الغيب للفخر الرازي(١٢/١٠).
(٤) ينظر: قواعد التفسير لخالد السبت(٨٠٤/٢).
(٥) سورة النساء، الآية(٢٩).
(٦) تفسير الجلالين(١٠٥/١).

جعلت المال المحرم محرما، والصواب: أن الباطل هو ما يقابل الحق ويضاده، والكتاب يطلق الألفاظ كالحق والمعروف والحسنات، أو الصالحات، وما يقابلها وهو الباطل والمنكر والسيئات، ويكل فهمها إلى أهل الفطرة السليمة من العارفين باللغة، ومن ذلك قوله في اليهود: ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[١]، فحق فلان في المال هو الثابت له في العرف، وهو ما إذا عرض على العقلاء المنصفين أصحاب الفطرة السليمة يقولون: إنه له، فيدخل في الباطل الغصب[٢]، والغش، والخداع، والربا، والغبن[٣]، والتغرير[٤]"[٥].

- **محل الاستدراك:**

يرى الإمام السيوطي أن المقصود بـ(الباطل) في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾ هو الحرام ومثل لذلك بالربا والغصب، وقد استدرك عليه الإمام محمد عبده هذا القول وذكر أن هذا من إحالة للشيء على نفسه؛ لأن الله -تعالى- حرم الباطل بهذه الآية، فقولهم: إن الباطل هو المحرم يجعل حاصل معنى الآية: إنني جعلت المال المحرم محرما، ثم ذكر أن الصواب: أن الباطل هو ما يقابل الحق ويضاده[٦].

- **دراسة الاستدراك:**

ما زال السياق في بيان ما يحل وما يحرم من الأموال والأعراض والأنفس ففي هذه الآية ينادي الله – تعالى- عباده المؤمنين بعنوان الإيمان فيقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ وينهاهم عن أكل أموالهم بينهم بالباطل بالسرقة أو الغش أو القمار أو الربا وما إلى ذلك من وجوه التحريم العديدة فيقول: ﴿ لَا تَأْكُلُوٓا۟

---

(١) سورة البقرة، الآية(٦١).

(٢) الغصْب في اللغة: أخذ الشيء ظلما، وفي الشرع هو: الاستيلاء على حق الغير عدوانا. [ينظر: الصحاح للجوهري(باب الباء- فصل الغين "غصب" ١٩٤/١)، ومغني المحتاج للخطيب الشربيني (٣٣٤/٣)].

(٣) الغَبْن: كلمة تدل على ضعف واهتضام، ويقصد بها الخداع في المبايعة. [ينظر مقاييس اللغة لابن فارس- كتاب الغين - باب الغين وما يثلثهما "غبن" – ٤١١/٤)، وطلبة الطلبة لعمر بن محمد النسفي(٤٥/١).

(٤) التغرير: المخاطرة والغفلة عن الأمر، وهو في البيع معناه توصيف المبيع للمشتري بغير صفته الحقيقية. [ينظر: تاج العروس للزبيدي- باب الراء- فصل الغين مع الراء "غرر" – ٢٣٣/١٣). والقاموس الفقهي للدكتور سعدي أبي حبيب(٢٧٢/١)].

(٥) تفسير المنار(٣٤/٥).

(٦) ينظر: تفسير الجلالين(١٠٥/١)، وتفسير المنار(٣٤/٥).

﴿ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ أي: بغير عوض مباح، أو طيب نفس، ثم يستثنى ما كان حاصلاً عن تجارة قائمة على مبدأ التراضي بين البيعين فقال تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ فلا بأس بأكله فإنه حلال لكم[١].

وقد اختلف المفسرون في المقصود بـ(الباطل) في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ على عدة أقوال أشهرها قولان:

القول الأول: أن المقصود بـ(الباطل) المحرم، وهذا القول ذكره الطبري، والثعلبي، والواحدي، والسمعاني، والراغب، والبغوي، والخازن، وابن كثير، والسيوطي، وأبو السعود، والقاسمي[٢]، وذكر الرازي ما يفيد هذا القول وهو أن المقصود بالباطل ما لم يبحه الشرع[٣]، واقتصر عليه الزمخشري، وابن الجوزي، والبيضاوي، وابن جزي[٤]، ورجحه الألوسي[٥].

قال الزمخشري: "﴿ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا"[٦].

وقال الواحدي: "﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ وهو كلُّ ما لا يحلُّ في الشَّرع كالرِّبا والغصب والقمار والسَّرقة والخيانة"[٧].

---

(١) ينظر: أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري(٤٦٦/١)، وتفسير المراغي(١٦/٥)، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي(٣٠/٥).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري(٢١٦/٨)، والكشف والبيان للثعلبي(٢٩٢/٣)، والوجيز للواحدي(٢٦١/١)، وتفسير السمعاني(٤١٨/١)، وتفسير القرآن للراغب الأصفهاني(١٢٠٢/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي(٦٠٢/٢)، ولباب التأويل للخازن(٣٦٦/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير(٢٦٨/٢)، وتفسير الجلالين(١٠٥/١)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود(١٧٠/٢)، ومحاسن التأويل للقاسمي(٨٥/٣).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي(٥٦/١٠).

(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري(٥٠٢/١)، وزاد المسير لابن الجوزي(٣٩٥/١)، وأنوار التنزيل التنزيل للبيضاوي(٧٠/٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي(١٨٨/١).

(٥) ينظر: روح المعاني للألوسي(١٦/٣).

(٦) الكشاف للزمخشري(٥٠٢/١).

(٧) الوجيز للواحدي(٢٦١/١).

القول الثاني: أن المقصود بـ(الباطل) هو ما ضد الحق، يعني ما ليس بحق، وهذا القول مروي عن سعيد بن جبير[١]، واقتصر عليه القرطبي، والشوكاني، وابن عاشور[٢]، ورجحه محمد عبده[٣].

قال القرطبي: "قوله تعالى: ﴿ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ أي بغير حق، ووجوه ذلك تكثر على ما بيناه"[٤].

وقال الشوكاني: "الباطل: ما ليس بحق، ووجوه ذلك كثيرة، ومن الباطل: البيوعات التي نهى عنها الشرع"[٥].

- **الترجيح:**

أرى - والله أعلم- أن الراجح هو أن القولين متقاربان، ويدلان على نفس المعنى فإن الباطل ضد الحق[٦]، وما أُخِذ بغير حق يكون حراما، وأكل المال بالحرام يكون عملا مضادا للحق؛ لذلك عبر بعض المفسرين عن الباطل بما يفيد القولين معا- أعني ما ليس بحق، وما حرمه الشرع.

قال ابن عاشور: "والباطل ضد الحق وهو ما لم يشرعه الله"[٧].

وأقول: وفعل ما لم يشرعه الله – تعالى- يكون حراما.

وقال القرطبي: "والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق، فيدخل في هذا القمار والخداع

والغصوب وجحد الحقوق، وما لا تطيب به نفس مالكه، أو حرمته الشريعة وإن طابت به نفس

مالكه"[٨].

ومن قواعد التفسير: "إذا احتمل اللفظ معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها"[٩].

وأما اعتراض الإمام محمد عبده على القول الأول بأن تفسير الباطل بالمحرم تفسير يخل بالنظم؛ لأنه يترتب عليه إحالة الشيء على نفسه؛ إذ يترتب عليه أن يكون المعنى: إنني جعلت المال المحرم محرما، وهذا الاعتراض فيه نظر؛ إذ لا يترتب ما قاله من المعنى المذكور؛ لأن المقصود من الآية ألا يأخذ الناس أموال

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره(٣/٩٢٧- الأثر ٥١٨١).
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٥/١٥٠)، وفتح القدير للشوكاني(١/٥٢٦)، والتحرير والتنوير لابن عاشور(٥/٢٣).
(٣) ينظر: تفسير المنار(٥/٣٤).
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٥/١٥٠).
(٥) فتح القدير للشوكاني(١/٥٢٦).
(٦) ينظر المفردات للراغب(كتاب الباء "بطل" – ١/١٢٩).
(٧) التحرير والتنوير لابن عاشور(٥/٢٣).
(٨) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٥/١٥٠).
(٩) ينظر: قواعد التفسير لخالد السبت(٢/٨٠٧).

بعضهم بطريق باطل، وهذا هو معنى الآية، ولا يترتب عليه إحالة للشيء على نفسه[١].

وللأدلة السابقة يتبين لنا أن استدراك الإمام محمد عبده على الإمام السيوطي في غير محله، وأن الأَوْلى حمل معنى (الباطل) في الآية الكريمة على القولين؛ لأنهما متقاربان – والله أعلم-.

الخاتمة
وفيها أهم نتائج البحث، وتوصيات الباحث

الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريات؛ محمد عليه أفضل الصلاة والتسليمات.

وبعد:

فالحمد لله أولا وآخرا على أن وفقني لإتمام هذا البحث في استدراكات الإمام محمد عبده على الإمام السيوطي في تفسير المنار في سورة النساء، وقد استفدت وجنيت ثمارا يانعة بسبب عملي لهذا البحث من اطلاعٍ على كتب التفسير وعلوم القرآن وغيرها مما كان سببا في خدمة البحث، وبعدَ الانتهاء من هذا البحث تبيَّن لى بعض النتائج العلمية، والتوصيات المهمة، وهي كالآتي:

- **النتائج:**

١- تعتبر نواة (تفسير المنار) عبارة عن دروس ألقاها الإمام محمد عبده في الأزهر وقام تلميذه محمد رشيد بتسجيلها ونشرها في مجلة المنار بأسلوبه مع إضافاته وتعليقاته وقد فسر الإمام محمد عبده الخمسة الأجزاء الأولى من القرآن، ثم واصل التفسير بعد موته الشيخ محمد رشيد حتى وافاه الأجل هو الآخر قبل أن يتم سورة يوسف لذلك نسب إليه هذا التفسير.

٢- تفسير الجلالين هو عبارة عن تفسير قام بتأليفه الإمامان الجليلان، الإمام جلال الدين المحلي، والإمام جلال الدين السيوطي، وقد بدأ الإمام جلال الدين المحلي تفسيره من أول سورة الكهف الى سورة الناس، ثم بدأ سورة الفاتحة فأدركته المنية بعد الانتهاء منها، فأكمل بعده تلميذه الإمام جلال الدين السيوطي من أول سورة البقرة إلى سورة الإسراء.

٣- بلغت مسائل استدراكات الإمام محمد عبده على الإمام السيوطي في هذا البحث أربعة استدراكات.

---

(١) ينظر: رسالة(الترجيحات في تفسير المنار) رسالة دكتوراه، للدكتور/ عبد الرحمن الحوفي(ص٨٥٩- ٨٦١).

٤- يعتبر (تفسير المنار) تفسير عصري، اهتم مؤلفاه بجانب الإصلاح في مناحي متعددة، كالأخلاق والتعليم والمرآة، والاصلاح الفردي والمجتمعي، وكذا اهتما بإيراد شبهات الملاحدة والفلاسفة والطاعنين والرد عليها.

٥- اعتمد مؤلفا (تفسير المنار) في كثير من المسائل على العقل المجرد، مما نجم عن ذلك تأويل كثير من الغيبيات والمبهمات مثل تأويل الملائكة بالقوى الطبيعية، وإنكار بعض المعجزات، وإنكار لبعض الأحاديث التي رواها البخاري ومسلم مثل حديث السحر وهذا من أكبر المآخذ التي أخذت على هذه المدرسة.

٦- من محاسن (تفسير المنار) الإقلال من الاستطرادات النحوية واللغوية والإعرابية فقد أخذ منها بقدر ما يحقق الغرض ويؤدي المعنى، وركز على اللون الأدبي الاجتماعي وكشف عن بلاغة القرآن وإعجازه.

- **أهم التوصيات والمقترحات:**

وفي الختام أوصي إخواني الباحثين من بعدي من طلبة الدراسات العليا بالآتي:

١- دراسة استدراكات المفسرين بعضهم على بعض في تفاسيرهم، ففيها نفع كبير، وتعد آلة لتقوية لملكة التفسير والموازنة والاختيار للباحث، والقدرة على كشف الخطأ وإزالة الغامض.

٢- دراسة المنهج الفقهي في تفسير المنار.

٣- دراسة تفاسير المدرسة العقلية دراسة تحليلية لمعرفة سلبيات الاتجاه العقلي فيها وأثره على التفسير.

٤- أقترح على الباحثين فى الجانب العقدي بتفنيد الاستدلالات والآراء العقلية في (تفسير المنار) حسب القواعد والأصول العلمية المنضبطة.

فهرس المصادر والمراجع

١- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – د. فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي - ط ١ – الرياض (١٤٠٦ ه – ١٩٨٦ م).

٢- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: ١١١٧هـ) - المحقق: أنس مهرة - الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان - الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.

٣- إتقان البرهان في علوم القرآن – المؤلف: فضل حسن عباس – الناشر: دار الفرقان ، الأردن - بدون تاريخ.

٤- الإتقان في علوم القرآن - المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) - المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم - الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٥- الاحتفاء بذكرى مرور خمسة قرون على وفاة السيوطي. نشر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ١٤١٦هـ.

٦- أحكام القرآن - المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ) - المحقق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف - الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت - تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ.

٧- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري - الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٨- بحر العلوم - المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).

٩- البحر المحيط في التفسير - المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) - المحقق: صدقي محمد جميل - الناشر: دار الفكر – بيروت - الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

١٠- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) - الناشر: دار المعرفة – بيروت - بدون تاريخ.

١١- البرهان في علوم القرآن - المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) - المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم - الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م - الناشر: دار إحياء الكتب

العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترقيم الصفحات).

١٢- تفسير الجلالين - المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) - الناشر: دار الحديث – القاهرة - الطبعة: الأولى.

١٣- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) - الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٤- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) - المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) - الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - سنة النشر: ١٩٩٠ م.

١٥- تفسير القرآن العزيز - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ) - المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز - الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة - الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٦- تفسير القرآن العظيم - المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) - المحقق: سامي بن محمد سلامة - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٧- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم - المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) - المحقق: أسعد محمد الطيب - الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

١٨- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) - المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان - الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ.

١٩- التفسير القرآني للقرآن - المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) - الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.